الفصل الرابع عشر

أساطير الأوّلين

obeikan.com

الفصل الرابع عشر

أساطير الأوّلين

(أ)

مفهوم الأساطير وقِدَمُها

سَطَر الكتابَ: كتبه، ومثلها سطَرَه، وفى القرآن الكريم: ﴿إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١]، وواحد الأساطير «إسطار وإسطارة» و«إسطير واسطيرة» و «أسطور وأسطورة»، والكلمة منقولة إلى الساميات من اللغة المصرية القديمة (كما يرى الدكتور لويس عوض[١]) حيث كان كهنة النواويس[٢] ينتشرون فى كافة القرى والأقاليم المصرية، ويأسرون ألباب الناس بسحر الحديث عن «الساتيرات» أى الأساطير، وللكلمة صلة «بالسورتا» المصرية القديمة والتى تعنى المتن المستخدم فى القداس، والتى انتقلت للساميات فى: «سورة من سور القرآن» وفى «سِفر» العربية، وفى «سيڤر» العبرانية بمعنى كتاب، وفى «سوارا» و «صوارا» الآرامية والسريانية بنفس المعنى.. وبدهىٌ أنّ الساميّين (عرب وعبرانيين) كانوا بدواً لا يعرفون الكتاب والكتابة، أما المصريون فمنذ أوزيريس[٣] كما تقول «الجبتانا»

(١) لويس عوض «مقدمة فى فقه اللغة العربية».

(٢) الناووس (الجمع نواويس) أديرة الكهنة الدجالين فى الزمن القديم، قد تكون كهفا فى جبل أو خُصّا.

(٣) «الجبتانا» أسفار التكوين المصرية، تنسب لأوزيريس استخدام البردى للكتابة، ومعرفة الحروف والكتابة.

يعرفون الورق (البابَيْروس) وكل اللغات نقَلت الكلمة المصرية Paper .

ولهذا فإن الساميين (عرب وعبرانيين) كانوا يحفظون متون أنبيائهم.. وليس حفظ متون الأنبياء تقليدا فى أديان جنوب شرق آسيا (الهند. الصين. اليابان) لأنها أمم عَرَفَتْ «الورق المطبوخ» ربما بعد المصريين بألفى عام، كذلك فإن أنبياء تلك المنطقة ظهروا ما بين الألْف الأولى قبل الميلاد، وأوائل القرون الميلادية.. ولا يزال «حفظ القرآن الكريم» شاهدا على التقليد القديم المرتبط بظهور الإسلام بين البدو، الذين ليست لهم أدوات الكتابة، وليس شائعا بينهم القراءة والكتابة، فاحتفظوا بالمتن المقدّس فى صدورهم، كذلك تكاد اللغة العربية تكون اللغة الوحيدة التى لم تأخذ «البابيروس» أو الـــ Paper المصرية، وأحلّت محلها الورقة والوَرَق باعتبار ورقة الشجرة مسطحة وتشبه الأشياء التى كان العرب يكتبون عليها: لحاء النخل، لحاء الشجر، الحجارة المسطوحة، أكتاف عِظام الحيوانات...

كثرت الأساطير لدى المصريين واليونانيين والرومان، لأن البيئة الزّراعيّة ذات الغابات (فى ذلك الزمان) كانت تستثير مخاوف الإنسان وأوهامه، فاستغل ذلك الكهنة ورجال الدين، وكان كهنة النواويس المصريون ومساعدوهم، هم مراكز الأخبار فى ذلك العالم القديم المظلم، والذى جاءته القتامة والعمى من الإله آمون، وكلمة آمون القديمة تحمل معنى التخفى والظلمة والعمى... ويعتقد الكثيرون من قارئى اللغة المصرية أن العين كانت تُستبدل بالهمزة لدى المصريين (العين أسهل فى إخراجها من الهمزة) (والاسم القديم لإخطاب الحاليّة (فى الدقهلية) كان «أتريب» وكانت تُنطق فى العصر العثمانى «عتريب» وبعض أهل الدقهلية ـ حتى اليوم ـ يقولون عن

أسرة « الإتربى » الأتاربة أو العتاربة) . . وهناك شك فى أن « العمى والتخفّى » فى اللغات السامية نُقِلَتْ عن « عامون أو آمون » المصرية والتى سمعها إبراهيم وموسى وداود وسليمان وبقية أنبياء السامية الذين تردّدوا على مصر، والذين لم يترددوا عليها.

وكان كهنة النواويس المصريون ـ كمعظم رجال الدين ـ يتكسّبون بالدين، فيروون ـ هم ومساعدوهم ـ الأخبار للناس (كما سبق أن ذكرنا) كما يروون « الساتيرات » أو الأساطير التى تتصل بعالم الآلهة، وطريقة خلقهم للعالم، وكيف جعلوا الحيوانات والبشر ذكورا وإناثا، حتى يستمروا فى الوجود بالرغم من الموت الذى كتبه الآلهة على الناس، وحيث استمتعوا هم بالخلود، والصراعات والمشاكسات بينهم كآلهة، يريد كلٌّ واحد منهم أن يكون لديه أكبر عدد مِنَ الزوجات أو الرّبات، فيُولَد له أعدادٌ كبيرة من الآلهة والربات يساعدونه فى صراع الآلهة.

الإنسان فى العصور القديمة مختلف عن إنسان اليوم . . فالإنجازات العلمية الكثيرة أقنعت إنسان اليوم بأن العلّيّة (السبب والنتيجة) هى أساس القوانين التى تحكم الكون؛ كذلك أقنعته أنه إذا رأى ظاهرةً ولم يفهم العلاقات داخل مكوناتها، فعليه بالبحث والتجريب حتى يصل لأسرار تلك الظاهرة . . أمّا فى عَصْرَىْ الأسطورة والدين، فكان الإنسان يلجأ إلى الكهنة، ليس فقط لمعرفة أسرار عالم الآلهة، بل أيضا لمعرفة أسرار ظواهر الطبيعة التى كان عاجزاً عن فهمها . . كذلك كان الإنسان فى حاجة إلى من يساعده ضد السحر والتمائم والأحجبة، التى يصنعها أعداؤه عند كهنة النواويس . . ولذا كان مضطرا للذهاب إلى كاهن نواويس آخر، حتى يفكّ السحر عنه أو يبطل

عمل التمائم والأحجبة.

لقد ظل هذا الظلام فى أوربا حتى أواخر العصور الوسطى؛ ثم تحررت العقول من الأوهام والخرافات والأساطير.. أما عندنا ـ فى العالم العربى والإسلامى ـ فلم يبدأ النور يبدّد الظلمة إلا منذ منتصف القرن العشرين، حيث إن المستفيدين من الكهانة باسم الدين، يحاولون التصدى للزحف العلمى وممثليه، ويرفعون «وصمة الكفر» فى وجه كل من يحاول التنوير.. وهؤلاء المستفيدون بالدين يمثّلون صناعة رائجة فى أيامنا.

☆☆☆☆☆

(ب)

صناعة الدين فى المنطقة العربية والإسلامية

اهتمت منظمة اليونسكو فى شتاء ١٩٩٥ بدراسة عن الأديان، سواءً فى ذلك الأديان التى يؤمن بها مليارات الناس (كالمسيحية والإسلام والبوذية والكنفوشيوسية) والأديان ذات العدد المحدود من المنتمين إليها.. وأرفقَتْ بالدراسة نماذج من الشرائع العامة للأديان الكبرى، ونماذج من الشرائع الغريبة لبعض الأقليات.. ففى جبال منغوليا، لا تزال توجد أعداد قليلة لدين ذى شريعة خاصة تسمح بتعدد الأزواج لزوجة واحدة، فضلاً عن أسطورة محفوظة عن خَلْق العالم.. كذلك كانت للمنظمة دراسة قيّمة عن «اللادينيين» (خاصة فى منطقة أعالى النيل) واعتقاداتهم أو فلسفاتهم وما يدور فى أذهانهم عن خلق العالم والآلهة التى تحركه، وطرق زواجهم وطلاقهم ودفنهم، وما هم عليه من أخلاق.. ومما لاحظه الأنثروبولوجيون الذين قاموا بتلك الدراسات، أن هؤلاءالناس (فى أعالى النيل) لا يكذبون ولا يسرقون (حتى أن البعثة أعدّت عُلَبا معدنية جميلة وتركتها متعمّدة قريبا من عيون الأطفال وأيديهم، إلا أن الأطفال لم يمدّوا أيديهم إليها بالرغم من شغفهم بها) ولا يعتدون على زوجات الآخرين، ولا توجد فى مجتمعهم حالة واحدة من حالات الشذوذ الجنسى.

واهتمت هذه الدراسة بأعداد المشتغلين بالدين فى كل ملة، وتبَيّن أن عدد رجال الدين المسلمين فى العالم، يكاد يصل إلى عشرة أمثال المشتغلين

بالدين فى بقية أجزاء العالم.. حتى أن المنظمة عبّرَتْ عن ذلك بتسمية غريبة «صناعة الدين فى المنطقة العربية والإسلامية»، وذكرت الدراسة أعدادَ أماكنِ العبادة فى كل ملّة، وظهر من الدراسة كثرة المساجد بعدّة أضعاف عن كنائس المسيحيين ومعابد البوذيين والكنفوشيوسيين وغيرهم.

أصبح الآن للأزهر فى كل عاصمة من عواصم المحافظات جامعة كاملة.. وفى كل جامعة كلية لأصول الدين، وأخرى للشريعة والقانون، وثالثة للدراسات الإسلامية. وما يقال عن مصر، يُقال مثله عن كثرة الكليات التى تدرّس الدين، فى كل البلدان العربية والإسلامية.

و«صناعة الدين» فى البلاد العربية والإسلامية صناعة كثيفة، فهذه الأعداد من الخرِّيجين، يشتغلون فى الخطابة الدينية والوعظ وحلْقات التوجيه الدينى فى الجوامع، كما أنهم مسئولون عن إقامة الشعائر الدينية فى الصلوات الخمس وصلاة الجمعة، فضلا عن أجهزتهم الإدارية والقياديّة.. وهذا هو حال العرب والمسلمين منذ انتشار الإسلام.

إن العقل العربى والإسلامى تأثر بأفكار هؤلاء الدعاة منذ الدولة الأموية، وقد رفض أسلاف هؤلاء أى فكر جديد، أو تفسير جديد للدين.. إنّ كلَّ المثقفين المهتمين بمستقبل العرب والمسلمين يعلمون أن هؤلاء هم أتباع الاتجاه السلفى السنّى، الذى سبق أن قضى على المعتزلة (وهم أقوى مفكرى الإسلام) وعلى ما أطلقوا عليه الخوارج[1] وبخاصة «الإباضية» الذين يفسرون الإسلام تفسيرا عقليّا عميقا.

(١) الخوارج ـ عند السلفيين ـ من خرجوا على اجماع الأمة. أما الخوارج فينسبوا أنفسهم للآية: ﴿ومن يخرُجْ منْ بيْته مُهاجرًا إلى الله ورسُوله ثُمّ يُدْرِكْهُ الْموْتُ فقدْ وقع أجْرُهُ على الله﴾ [النساء: ١٠٠].

وكلنا يذكر موقفهم من الشيخ على عبد الرازق، فى «الإسلام وأصول الحكم» ومن الدكتور طه حسين وكتابه «فى الشعر الجاهلى».

إن دراسات علم اللغة، وعلم اللغة المقارن تؤكد أنّ: «أية مجموعات بشرية تتحدّث لغة ما، فإنها ـ بعد بضعة قرون ـ تحوّل كل جماعة منها لهجتها الخاصة إلى لغة» حدث هذا للمجموعة الإندو أوربية (فتولّد عنها اللغة الهندية واللغة الأورديّة (باكستان) واللغة اللاتينية).. كذلك فإن اللغة اللاتينية ظلّت مسيطرة على الأوربيين حتى أوائل القرن السابع عشر، ثم تحوّلت كل لهجة من لهجاتها إلى لغة مكتوبة (الفرنسية. الانجليزية. الألمانية..).

وتؤكد هذه الدراسات أن اللغة العربية (وهى أقدم من اللاتينية فى انفصالها عن الآرامية أو السريانية) ظلّت على ما كانت عليه زمن ظهور الإسلام، فلم تخرج منها لهجة فتتحوّل إلى لغة مستقلة، ويُرجِع الدارسون ذلك إلى وجود القرآن الكريم والدراسات الإسلامية المختلفة.. إن القرآن ـ حتى الآن ـ يُقرأ بنصّه العربى بين الهنود المسلمين والباكستانيين والإندونيسيين والماليزيين والبنغاليين.. بل إن الجميع يعرفون القاعدة الأصولية: «لا يجوز التعبّد بالقرآن إلا بنصه العربى».. إن الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد» قد ترجم إلى كافة اللغات، حيث يجرى التعبد بهذه الترجمات.

إن استمرار اللغة العربية الفصحى بين العرب، أمر يوحّد العرب جميعا، أى أنه أمرٌ طيب.. لكنّ الخوف الذى يُسْتَثار، والذى يردّدُه عنا كثيرون من المؤرخين ودارسى الحضارات الإنسانية، أن بقاء اللغة العربية على ما كانت عليه، يوحى «بتصلّب العقل العربى والإسلامى» ومعاداته للتطوّر والتجديد.

(جـ)

أساطير خلق العالم وانبثاق الآلهة

■ **أولاً: عند المصريين:**

« فى البدء لم يكن إلا ماءً وضباب[1] .. ولم تكن حياة .. ولم تكن نباتات ولا دبابات .. طبقتان من المياه، بينهما فاصل فضىّ من النور، الجزء الأسفل من المياه هو « نون » المحيط الأزلىّ .. مياه وضبابٌ وظلمة، فالشمس لم تكن قد خُلِقتْ بعد .. على سطح المحيط الأزلىّ « نون » طَفَتْ بيضة ذهبية، فى حجم ألف بيضة من بين النعام، ثم حدث انفجار هزّ الكون كلّه، وانفجرت معه تلك البيضة .. وانبثق « أتوم » أول الآلهة، ودفع الطبقة العليا فارتفعت وكانت السماء، وانفتقتْ عن الطبقة السفلى التى هى البحار.

كانت الظلمة لا تزال مسيطرة، فَعَطسَ « أتوم » قائلا: « تِشُو » فظهر الرب « تِشُو » رب الفضاء، وتفل (بصق) « أتوم » قائلا: تِفْ »، فكانت « تِفْنوت » ربة الندى .. إذن كان « أتوم » هو الكلمة، وكان هو الخالق، خلق « تِشُو » ربَّ الفضاء، وخلق « تِفنوت » ربّة الندى.

ظل « أتوم » فى الظلمة يراقب « تِشُو » و« تفنوت »، ثم بدا لأتوم القادر على الخلق بالكلمة أن يزوج الربّة « تفنوت » للربّ « تشو »، فقال: ليكن زواج بين الاثنين، فتزوجا، وحملت تفنوت ألف عام، ثم أنجبت ابنتها

---

(١) عن «الجبتانا» أسفار التكوين المصرية. جمعها مانيتون السمنودى. والرواية للأب أبيب النقادى. الجمع والتحقيق والمراجعة التاريخية والصياغة العربية: على الألفى.

« نوت » سيدة السماء، وابنها « جب » الذى هو جسد الأرض.

وأمر أتوم « نوت » سيدة السماء أن ترفع السماء بعيداً أكثر عن سطح « نون »، ولما رأى « أتوم » زرقة السماء وقتامتها، حيث لم يكن ليل ولا نهار، قال لنوت: « عليك ـ أيتها الرّبة ـ أن تزينى السماء، فتجعلى فيها مصابيح بالليل ونورا فى النهار » فاستجابْت « نوت » وكان صباح وكان مساء.

ولكى يكون صباح صنعت « نوت » قرصا كبيرا من ذهب لينير النهار، وقرصاً أصْغَرَ من الفضة، تعاونه مصابيح صغيرة لإنارة الليل.. وفجأة تحرّك قرص النهار الذهبى وصارت له الكلمة فقال: « أنا.. رع.. رب الأرباب، صارت لى الكلمة، ولم تعد الكلمة لأتوم » وفى الليل اهتز القرص الفضى، ونطق بالكلمة قائلاً: « لم أعد مجرد مصباح بل أنا « خِنْصُو » إله القمر الشجاع المقامر ».

ولماتأمل « رع » كلَّ ذلك وجده حسنا: أرضٌ تحوى جبالاً ومرتفعاتٍ، وبحاراً ووديانا. وسماءٌ تزيّنها شمس بالنهار، وقمر ونجوم بالليل. وفكر « رع » قائلا: « وماذا بعد؟ إننى محتاج إلى الحكمة« ولما كانت كلمات رع كلمات خالقة، انبثق « تُحوت » إله الحكمة.

قال رع لتحوت: « إن منظر السماء صار جميلا بالنهار والليل، وإن البحر جميل بحركته واضطراب أمواجه.. لكن منظر الأرض الجدباء المقَفرة لا يسرّنى، أين حكمتك يا تحوت ». فقال تحوت: « أى رع، ربَّ الأرباب، بما أنّك فوضتنى بالكلمة.. وبما أن الأرباب تخلُق بالكلمة.. فلتكنْ « حتحور » ربّة للأنوثة، وليكن « أبيس » ربا للذكورة.. وليكنْ ذكر وأنثى فى كل شئ.. نباتات تَنْبُتُ من جسد الأرض ذكر وأنثى، وأسماك فى البحر، ذكر وأنثى،

ودبابات على الأرض ذكر وأنثى، وطيور فى السماء ذكر وأنثى».

قرر «رع» أن يجعل الآلهة ذكورا وإناثا يتوالدون وفق مشيئته هو[1]، وعرض رع إرادته على تاسوع الآلهة.. ولكن الآلهة رفضوا، خوفا من تحوّل الآلهة لكائنات تلد وتموت.. استاء «رع» من رفض إرادته، وقال فى نفسه: «كيف أكون رع رب الأرباب وتُرفض إرادتى» وأطلق «رع» كلمة الخلْق فظهرت «قمّة الغرب» عروسا سماويّة جميلة تعشقها عيون الآلهة وقلوبهم.. عَشِق «أتوم» قمة الغرب، وتقدم يعرض حبه على «قمة الغرب» فطلبَتْ من «أتوم» أن يعطيها بائنة أو مهرا، فأمر «أتوم» «جب» إله الأ فأطلق جب من جوفه كل زهور الأرضين من نرجس ولوز وآس ورياحين، انتعشت «قمة الغرب» ورضيت أن يضاجعها أتوم وحملت وأنجبت «خنُم» و «بتاح».. وتقدم «أتوم» مرة ثانية «لقمّة الغرب» فطلبت منه بائنة أو مهرا، فأمر «أتوم» «جب» رب الأرض فأخرج من جوفه كلّ فواكه الأرضين من رمان وعنب وبلح وجمّيز وتفاح.. فأكلَتْ منه «قمة الغرب» وضاجعها أتوم، فحملت منه ثم ولدتْ التوأم «آمون» و «آتون».

☆☆☆☆☆

(١) يبدو أن مانيتون جمع أسفار التكوين المصرية من أماكن ومعابد مختلفة، الأمر الذى تسبب فى بعض الاضطراب فى الجزئيات، ولكن الخط العام لأسفار الجبتانا مترابط أكثر من العهد القديم.

■ ثانيا : عند اللادينيين فى أعالى النيل :

فى صيف ١٩٧٣ (سبتمبر)، وفى رحلة سفارى بدأت من الحديدة (فى اليمن الشمالى فى ذلك الوقت) ثم إلى عدن فى اليمن الجنوبى، ثم عبرنا البحر الأحمر إلى الصومال الفرنسى (جيبوتى الآن) . . ثم تجوَّلنا فى الغابات غربا، فطُفْنا بالطَّرف الشمالى من بحيرة فكتوريا، ثم أعالى النيل، ربما فى جنوب السودان أو تنزانيا الحالية . . وقابلنا شبابا فى تلك المناطق التى لا تعرف الأديان . . بعض هؤلاء الشباب كانوا يتعلمون فى الاتحاد السوفيتى (القديم) وبعضهم فى الخرطوم، وبعضهم فى القاهرة . . وكانت الإنجليزية وسيلة التفاهم مع هؤلاء الشباب .

قالوا لنا : إن بعض القبائل هنا تتكلّم السّواحيلى[١] وبعضها قادر على التفاهم بانجليزية ضعيفة، وصلت إليهم عن طريق الجيش المصرى بقياداته الانجليزية فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين . . بل إن أسماء القيادات الانجليزية للجيش المصرى محفوظة لدى الأجيال القديمة، وتظهر فى أسماء الرجال مثل : « كِتْشِير » و « غوردون » .

عرفنا من هؤلاء الطلاب أن الناس هنا لا صلة لهم بالأديان، لا هُمْ ولا آباؤُهم وأجدادُهم، حيث إن المركز التبشيرى للمسيحية بعيد عنهم وعن سيطرة قبائلهم . كذلك فإن الآباء والأجداد (كما ترجموا لنا قول أحد كبار السن يتكلم بلغة الزولو كما قالوا) حاولوا الاستعانة بربّ المسيحيين وبرب المسلمين، ولكنّ الربَّيْن ـ كما تبيّن لهم ـ لا جدوى من الاستعانة بهما إذ لا

(١) « السواحيلى » لغة على شواطئ البحر الأحمر، وقد تتعمق فى داخل إفريقيا . . وهى تركيبة من العربية والإنجليزية والإيطالية مع لمسات إفريقية .

تزال الأمراض تأكل الناس، وبخاصة: الحُمّى الصفراء والملاريا والبلهارسيا والدوسنتاريا.. وتلك الدودة الرهيبة التى تقفز فتخترق الجلد، فيصاب من تخترق لحم ساقه بالعمى ثم الموت فى عدة ساعات.... ولا علاج، كما فهمنا، إلا بالإسراع بحرق المكان الذى دخلته الدودة.. ورأينا سيقانا (لرجال وشباب) محترقة فى أماكن مختلفة.

وقال لنا هؤلاء الطلاب: إن الأميّة كاسحة، وهم لا يعرفون أسماء الأمراض.. كذلك لا يعرفون اسماً واحداً لله، فلدى قبائل الزولو كلمة تعنى ذلك الذى يسكن فى الشمس، وقبائل تراه يسكن القمر.. والاعتقاد العام لديهم أن الله لا يهتم بالبشر لأنّه لم يخلقهم، لأن المسئول عن خلقهم هم التنانين الأربعة التى تقذف الماءَ من أفواهِها والتى يعتبر المعالجون الشعبيون ممثلين لها.

وقال حكيم طاعن فى السن (بترجمة الطلاب): «الآلهة تعيش فى الأعالى، بعد السحاب، والآلهة كقرود الشجر، لا تهتم بما تحت الأشجار، بل تهتم بما على الأشجار والنخيل من ثمار، وهم عادةً لا يشربون من تحت الأشجار، بل يشربون ماء المطر، ويحطمون ثمار جوز الهند ويشربون ما فيها من ماء.. وكذلك الآلهة: لا يهتمون إلا بطعامهم وشرابهم ونسائهم، وكذلك لا يهتمون بمن على الأرض، إلا لو أعجبتهم فتاة فقد يختطفونها».

سألناهم عن الزواج وعن الموت والدفن، فقالوا: بعض شيوخ القبائل يعقد مراسم سريعة للزواج، ربما يكتفى بوضع يديه علي العريس والعروس ويجعلهما زوجين، والأحسن حالا قد يستقدمون راهبا أو شيخاً من أماكن بعيدة، ليعقد لهم المراسم.. أما مراسم الموت فتنتهى بحمل الميت بحمّالة

خشبية ودفنه فى منطقة بعيدة عن القرية، وغالبا ما تنهشُ الحيواناتُ الجثث.. وسمعنا عن قبائل تفضّل حرق موتاها.. ولكننا لم نَرَ ذلك.

سألناهم عن تعليل الأجداد والقدامى لمياه النيل، فقالوا: كما سبق أن أشرنا، فإن كثيرين يعتقدون بأسطورة التنانين الأربعة التى تتناوب على الوقوف بأعَالى القنوات والأنهار وتصب المياه التى لا تنقطع من أفواهها... ونظرا لاختلاف ألوان تلك التنانين تتعدّد ألوان المياه.. ويروى آخرون أسطورة عن عدد ضخم من الفيلة النائمة(١) فى أماكن فى أعالى القنوات والأنهار، وخراطيمها لا تتوقف عن ضخ المياه فى تلك القنوات والأنهار.

سألناهم عن الطب والعلاج، فقالوا: على بعد مسافات بعيدة، تستغرق وقتا طويلا، فى عبورها، حيث لا طرق، ولا أمان فى السير، توجد مستشفى مصرية أقامها جمال عبد الناصر، وفيها أطباء مصريون، وتقوم بعلاج من فى الأجوار.

كما توجد، على مسافة أخرى مستشفى «القديس السويسرى» (٢) وتتبع لبعض الإرساليات الألمانية والسويسرية، وهى تقدّم خدمة طبية لمن فى أجوارها، ولمن يستطيع الوصول إليها.

وقال أحد الطلاب: نظرا لاكتظاظ مستشفى جمال عبد الناصر،

---

(١) الطلاب يشيرون إلى ما يعرف علميا بمقبرة الأفيال، إذ حين يشعر الفيل بالضعف والإعياء، يذهب إلى ذلك المكان الذى تحرسه فيلة قوية.. ويعتقد الطلاب أن هذا هو سرّ أسطورة الأفيال التى تقذف بالمياه من أفواهها.

(٢) «القديس السويسرى» يقصدون ألْبرْت شويتزر St. Albert Switzer كان راهبا فى تلك المناطق، ترك الرهبنة، وعاد إلى سويسرا فدرس طب المناطق الحارّة. وعاد إلى نفس المنطقة يعالج الناس.. ومُنح جائزة نوبل.

ومستشفى القديس السويسرى بالمرضى، ولبعدهما عن هذه المنطقة، فإن الناس هنا يُقبلون على الطبّ الشعبى، ودعنا نسميه «اللاطبّ الشعبى»، فهؤلاء الأدعياء الذين يسرقون أموال المرضى والمتألمين والموتى، يُعالج بعضهم بالكىّ، وبعضهم بالتشريط والتجريح «لفصد الدم الفاسد»، ومنهم من يُعالج بالأعشاب المفيدة وغير المفيدة، وبعضهم يعالج بحقن شرجية، أحيانا تكون مميتة.

وقال أحد الطلاب: هنا ـ أيضا ـ مجموعة من الأطباء السحرة، لهم أخصاص أو أعشاش، ويوهمون البسطاء بأساطير عن عالم الجن، والعفاريت، وأن معهم «العَهْد» مع هؤلاء غير المرئيين.. ويستطيعون أن يوقفوا سحرهم، فالسيدة التى لا تحمل، من الممكن أن تحمل، عندما تبيت ليلة واحدة، أو ليلتين، فى عُش ملحق بِعُشّ ذلك الدجّال.

وقال آخر: ناهيك عن وَفَيَات الأطفال هنا، لا يَزال الجُدرى يأكل وجوه بعض الأطفال، ولا تزال الدفتريا تخنق الكثيرين منهم.. وأمراض أخرى وأعراض أخرى.. وَفَيات الأطفال هنا تزيد عن نصف عدد الأطفال.. وأعداد كبيرة من الأطفال يفقدون نظرهم.. وآخرون يعيشون حياةً خير منها الموت.

وقال أحدهم: لعلكم تتسامحون مع هؤلاء البسطاء حينما تسمعون عن أساطيرهم وزعمهم بأن الله لا يهتم بمرضاهم وظروفهم، وبأن الله فى بعض أساطيرهم كقرود الشجر، لا يُهمهم من يعيش تحت الشجر، وكذلك «الله» لا يهمه من يعيش على الأرض.

☆☆☆☆☆

■ ثالثا : عند العبرانيين واليهود فى العهد القديم أساطير سفر التكوين(١)

« فى البدء خلق الله السموات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرفّ على وجه المياه، وقال الله « ليكن نور » فكان نور. ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمة، ودعا الله النور نهارا، والظلمة دعاها ليلا. وكان مساء وكان صباحٌ يوما واحدا. وقال الله « ليكن جَلَدٌ فى وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياهٍ ومياهٍ » فعمل الله الجَلَدَ، وفصل بين المياه التى تحت الجلد، والمياه التى فوق الجلد. فكان كذلك. ودعا الله الجَلَدَ سماءً، وكان مساء وكان صباحُ يوما ثانيا. وقال الله « لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد، ولتظهر اليابسة » وكان كذلك.

ودعا الله اليابسة أرضاً، ومجتمع المياه دعاه بحاراً، ورأى الله ذلك أنه حسن. وقال الله: « ولتنبت الأرض عشبا وبقلاً يُبْزَرُ بَزْراً، وشجراً ذا ثمر، يعمل ثمرا كجنه بزره فيه على الأرض ». وكان كذلك. فأخرجت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزراً كجنه، وشجراً يعمل ثمراً بزره فيه كجنسه، ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساء وكان صباح يوما ثالثا.

وقال الله: « ليكن أنوار فى جلد السماء لتفصل بين النهار والليل، وتكون لآياتٍ وأوقات وأيام وسنين. وتكون أنواراً فى جلد السماء لتنير على

---

(١) بدهى أن أوأساطير خلق العالم المصرية، وانبثاق الآلهة، سابقة بألفى عام عن العهد القديم، وواضح أن معظم الأساطير العبرانية منقولة عن «الجبتانا» المصرية، والجبتانا أكثر منطقية فالعالم قديم كهيولى صماء، ويحدث انفجار فتكون الأرض والسماء، وينبثق الإله الأول «أتوم».

الأرض» وكان كذلك فعمل الله النورين العظيمين، النور الأكبر لحكم النهار، والنور الأصغر لحكم الليل والنجوم وجعلها الله فى جلد السماء لتنير على الأرض، ولتحكم على النهار والليل، ولتفصل بين النور والظلمة. ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساء وكان صباح يوما رابعا.

وقال الله: «ولتفض المياه زحافات ذات نفس حيّة، ولْيَطِرْ طير فوق الأرض على وجه جَلَد السماء». فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحيّة الدّبابة التى فاضت بها المياه كأجناسها، وكل طائر ذى جناحٍ كجنسه، ورأى الله ذلك أنه حسن وباركَها الله قائلا: «أثمرى وأكثرى واملأى المياه فى البحار. وليكثر الطير على الأرض» وكان مساءً وكان صباح يوماً خامساً.

وقال الله: «لتخرج الأرضُ ذوات أنفس حية كجنسها: بهائم ودبّابات ووحوش أرض كأجناسها» وكان كذلك.. وقال الله: «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم، وعلى كل الأرض.. فخلق الله الإنسان على صورته، ذكراً وأنثى خلقهم.. رأى الله كلَّ ما عمله فإذا هو حسن جدا، وكان مساء وكان صباح يوما سادسا.

فأكْمِلَت الأرض والسموات وكل جندها، وفَرَغَ الله فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل فاستراح فى اليوم السابع.. وبارك الله اليوم السابع وقدّسه..

وجبل الربّ الإله آدم ترابا من الأرض، ونفخ فى أنْفِهِ نسمة حياة، فصار آدم نفساً حيّة. وغرس الربّ الإله جنّة فى عدن شرقا، ووضع هناك آدم الذى جَبَلَهُ، وأنْبَتَ الربّ لإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل،

وشجرة الحياة فى وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشرّ، وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رءوس.. «فيشون» المحيط بجميع أرض الحَوِيلَة.. واسم النهر الثانى «جيحون» وهو المحيط بجميع أرض كوش، واسم النهر الثالث «حِدّاقِلْ» وهو الجارى شرقى آشور، والنهر الرابع الفرات.

وأخذَ الربُّ الإله آدمَ ووضعه فى جنة عَدْنٍ، ليعملها ويحفظها، وأوصى الرب الإله آدم قائلا: «من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتا تموت». وقال الرب الإله: «ليس جيدا أن يكون آدمُ وحَده، فأصنعُ له مُعينا نظيره» وجعل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية، وكل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدمُ ذات نفسٍ حية فهو اسمها(١).. فأوقع الربّ الإله سباتا على آدم فنام، فأخذ واحدةً من أضلاعه وملأ مكانها لحما، وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأةً، وأحضرها إلى آدم، فقال آدم: «هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى. هذه تُدْعى امرأةً لأنها من امرئٍ أُخِذَتْ» لذلك يترك الرجل أباه وأمّه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً، وكان كلاهما عريانينْ آدمُ وامرأته، وهما لا يخجلان.

وكانت الحيّة أحيل جميع حيوانات البريّة التى عملها الرب الإله، فقالت للمرأة: «أحقّا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟» فقالت المرأة للحية:

---

(١) ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]، وفى شرحها عند المفسرين «اسم كل شئ كالبعير والشاه...» وهو نفس المقصود فى سفر التكوين.

« من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة، فقال الله لا تأكلا منه ولا تَمَسّاهُ لئلا تموتا » فقالت الحية للمرأة: « لن تموتا! بل الله عالمٌ أنّه يوم تأكلان منه، تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفَيْن الخيرَ والشرّ ». فرأت المرأة أن الشجرةَ جيدةٌ للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهيّة للنظر. فأخذتْ من ثمرها وأكَلَتْ وأعطتْ رجلها أيضا معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآذر. وسمعا صوتَ الربّ الإله ماشيا[1] فى الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الربّ الإله فى وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم وقال له: « أين أنت؟ » فقال: « سمعت صوتك فى الجنة، فخشيت، لأنّى عريان فاختبأتُ ». فقال الرب الإله: « من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلْتَ من الشجرة التى أوصيتُك أن لا تأكل منها؟ » فقال آدم: « المرأة التى جعلتها منى هى أعطتنى من الشجرة فأكلْتُ » فقال الربّ الإله للمرأة: « ما هذا الذى فَعَلْتِ؟ » فقالت المرأة: « الحية غرّتنى فأكلت » فقال الرب الإله للحية: « لأنّكِ فعلْتِ هذا، ملعونةً أنتِ من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرّية على بطنك تسعين[2] وترابا تأكلين كلّ أيام حياتكِ وأضع عداوة بينك وبين

(١) صورة « الرب الإله » الماشى فى الجنة عند هبوب الرياح صورة بدوّية أو عبرانية غير صورة « أنُمْ. آتون. رع. آمون..» الآلهة المصريين، إذ هى صورة رمزية غير تشخيصية للرب الإله. بعكس ماقالته الآية الثانية من الإصحاح الأول تكوين « روح الله يرف على وجه المياه » فالتصوير فيها مصرى.

(٢) تكثر فى متون الأديان النزعة التبريرية، فالحية والزواحف لها طريقتها ـ التى ورثتها ـ فى السير على عضلات مستطيلة فى جسدها، كما أنها لا تأكل التراب؛ والعداء بين الأفعى والإنسان كالعداء بين الإنسان وكل أعدائه الطبيعيين.

المرأة، وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عَقِبَهُ» وقال للمرأة: «تكثيرا أكثّر أتعاب حبلكِ، بالوجع[1] تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقُكِ وهو يسود عليكِ».

ودعا آدم اسم امرأته «حوّاء» لأنها أم كلّ حيّ.. وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت «قايين» وقالتْ: اقتنيتُ رجلاً من عندالربّ» ثم عادت فولدت أخاه هابيل، وكان هابيل راعيا للغنم، وكان قايين عاملا فى الأرض. وحدث من بعد أيام أن قايين قدّم قربانا للرب من أثمار الأرض، وقدّم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها، فنظر الربّ إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر، فاغتاظ قايين جدا.. وحدث إذ كانا فى الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله...[2]

☆☆☆☆☆

(١) تكرار للنزعة التبريرية فى متون الأديان جميعا.. فالمرأة تتألم ساعة الميلاد لأن الدفع (ما يسميه الأطباء بالطلق) يتم بتحرّك عنيف لعضلات الرحم حتى يتخلّص الرحم من الجنين. والمرأة تشتاق الرجل كما أن الرجل يشتاق المرأة، وسيطرة الرجل على المرأة وضع اجتماعى يتغيّر بتغيّر الظروف.. وهناك رجال كثيرون ترهبهم زوجاتهم.

(٢) آيات مختارة من سفر التكوين من الإصحاح الأول حتى الرابع.. وما ذكر فى القرآن لا يختلف عما ذكر فى العهد القديم.

■ رابعا : عند الإغريق كما صاغها أوڤيد(١)

قبل أن تكون أرض وتكون بحاروا وتكون سماء، كان ثمة عماء يغشى العالم كلّه، وكان الكون كتلة مضطربة لا شكل لها، جمادا لا حياة فيها، وكان الكون كله جملة من بذور مختلفة لعناصر الأشياء، ليس ثمة بينها صلة ولا رابطة، ولم يكن ثمة شمس « تيتان »، كما لم يكن ثمة قمر « فيبى » يتكامل فى دورته، فهو كلَّ يوم يواجهنا بوجه جديد. ولم تكن الأرض بعدُ قد ضمها فضاء تتهادى فيه بثقلها، كما لم تكن المياه « أمفْتريتى » قد بسطت زراعيها على شطآن البرّ؛ فلقد كانت الأرض والبحر والفضاء كلها ممتزجة لا انفصام بينها. وكانت الأرض تُعْوزُها الصلابة، والبحر تعوذه السيولة، كما كان الفضاء فى عِوَزٍ إلى الأضواء. لم يكن ثمة شئ له شكل مميّز؛ وكانت هذه العناصر ـ رغم اختلافها ـ لا تنافَر بينها، ومع أنها كتلة واحدة، كان ثمة صراع بين الحرارة والبرودة، وبين الوَمَد(٢) والجفاف، وبين الليونة واليُبس، وبين الخفّة والثِقّل. وكان لابد لهذا الصراع من حاسم، فتجلّى الإله كىْ يفصل بين الشئ ونقيضه: ففصل بين السماء والأرض، وما بين الأرض والماء، وخلّص الهواء الكثيف من الأثير الشفيف.

وما أن تم للإله فصل هذا كلّه، وتخليصه من فوضى الكتلة حتى غرس الوئام والسلام فخصّ كلاّ بمكانه المميّز، فإذا اللهب المتأجج معدوم الوزن

---

(٢) وُلد «أوڤيد» سنة ٤٣ ق م، وعرض الأساطير الإغريقية القديمة هو وزميله ڤرجيل صاحب «الإنيادة». وما أعرضه هنا عن أوڤيد، بالترجمة الأدبية الرائعة للدكتور ثروت عكاشة.

(٣) الومد: الحرارة مع البخار أو ما يعبّر عنه بارتفاع نسبة الرطوبة.

يحتل قبة السماء، ويتلألأ فى ذروة بناء العالم، وإذا الهواء الذى يضارع اللهب المتأجج خفةً، يحتلّ مكاناً إلى جواره، وإذا الأرض، وهى أكثف منهما معاً تشتد وتشدّ إليها العناصر المتماسكة فتتراكم بعضها فوق بعض، وإذا الماءالذى كان يحيط بكل شئ يحتلّ كلّ خلاءٍ فى الوجود.

وما أن فرغ الإله من هذا التقسيم والتنسيق لتلك الكتلة المتراكمة التى لم تكن على شكل ما، حتى أخذ يجمع بين هذه الأجزاء المختلفة فى تماسك كى يجنب الأرض أن يختلّ أى قطر منها، من أجل ذلك سوّاها كرويّة(١) ضخمة. وكان أن امتدّت مياه البحر بفعل أنفاس الرياح الهوجاء، فإذا هى تمنطق الأرض. ولكى يبلغ الأمر مداه فجر الإله الينابيع وأفاض المستنقعات التى لا حصر لها، وشق البحيرات، وحبَسَ الأنهار بين ضفافها، كما وزّعها على سطح الأرض. فمنها ما يُفضى إلى البحر فتختلط مياهها بمياهه، ومنها ما لا ينتهى إلى بحر فتبتلعه الأرض فى جوفها.. كما بسط السهول، وخدّد الوديان، وجعل الغابات تونع بأوراق الأشجار الوارفة، ورفع قُنَنَ الجبال الصخرية. وإذ كان قد قسم السماء مناطق: اثنتين إل اليمين واثنتين إلى اليسار، وبين هاتيْن وهاتيْن خامسة أشدّ حرارة، كذلك قسم الأرض التى تظلها السماء مناطق بأمره تتناسب مع مناطق السماء عدّا، فالوسطى لا حياة

(١) فكرة كروية الأرض، أشار إليها فيثاغورس، إذ بعد أن عرف من المصريين طريقتهم فى ضبط الزّوايا القائمة فى البناء، صاغ ما تعلّمه منهم فيما يسمى بنظرية فيثاغورس (المربع المنشأ على الضلع المقابل للزواية القائمة يساوى مجموع المربعين الآخرين).. كذلك عَرَف منهم فكرة «لا نهائية الخطوط المقسّمة للكرة».. ولهذا آمن فيثاغورس ـ كالمصريين ـ بكروية الأرض والكون، وهى فكرة سبقت بها مصر كافّة الحضارات الأخرى.

فيها لشدّة قيظها، وغطّت الثلوج منطقتين[1] من هذه المناطق، وبقيتْ الوسطيان بين هذين الطرفين تستمتعان بمناخٍ بين البرودة والحرارة.

وفوق هذا حلّق الهواء بخفته.. وأقرّ الإله الضباب والسّحابَ مقرهما فى الهواء، كما جعل للرعد مقرا، هذا الرعد الذى يثير خوف البشر.. وكذلك جعل للرياح مقرّا، تلك الرياح التى تتحد مع الصواعق فينفذ من خلالهما البرق.

ثم إن هذا الإله، لم يترك الرياح على أعنّتها تجرى حيث تشاء، فهى إلى اليوم تبدو عسيرة على أن تخضع لنظام.. فالرّيح «إيروس» قد اتخذت مهابّا من مناطق ربّة الفجر ومملكة النبط فى بلاد فارس ومن سلاسل الجبال التى تكلّل أشعة الفجر قممها. أما ريح النسيم «زفيروس» فمهبّها حيث نجمة الليل والشطآن التى تشع عليها الشمس فى غروبها فتخلّفها دافئة.. وأما الريح الدافئة «بُورْياس» والتى تتحوّل عادة إلى ريح لافحة فتسود فى هبوبها بلاد «السكوذيين» وشتى نواحى الشمال. أمّا ريح «أُوستِير» فَتُضادّ هذه المهاب كلّها وتسوق إلى الأرض سحبا مستمرة الأمطار غزيرتها.. ثم انبثقت الكواكب تتألق فى رقعة السماء، بعد احتجابها طويلا فى ثنايا السديم الذى كان يلُفّهُا.

وكان ثمة عصر ذهبى فى بدء الخلق، أظلّ خلْقا على إيمان عميق ومبادئ سامية، لم يُشرّع لهم مبادئ أو قانون يلتزمون به أو يخافون عقابه، وعاشوا ليس لهم وازع إلا الضمير، فلا قضاة ولا حكام، إذ لم يكن ثمة نزاع

(١) لعل الإغريق رأوا المنطقة القطبية الشمالية، فتصوروا وجود المنطقة القطبية الجنوبية..

أو عدوان، وكان الناس حيث هم، فلا هجرات ولا نزوحَ عن أرضهم.. كما أحالت سنابل القمح الذهبية الأرض فبدت كحقل من الذهب وساد الربيع، فلا برد ولا مطر، وفاضت الأنهار لَبَنًا ونكتاراً (شراب الآلهة)، وسالت الأشجار شهداً ذهبيّ اللون».

ووقع «ساتورْن» أسيرا فى يد چوبيتر، فألقى به فى ظلام «تارتاروس» وانفرد هو بحكم العالم.. ثم تغيّر الناس فعاشوا على السلب والنهب.. وعمّ الأرضَ البلاء وسالت الدماء، فهجرتْ «استرايا» العذراء الأرضَ، وكانت هى آخر من هجر الأرض من أرباب وربات السماء.

وتطلّع العمالقة للأثير، لا يريدون أن يكون آمناً، كما لم تُعدْ الأرض أَمْناً، ولكى يغزو العمالقة السماء، جعلوا الجبال جبلا فوق جبل، حتى يرقَوْا إلى حيث النجوم، وعندها أرسل عليهم سيد الكون صواعقه، فتداعى جبل «أوليمبوس»، وتزحزح جبل «بيليون» من فوق جبل «أوسا»، وإذا تحت هذا الركام الهائل جثث العمالقة هامدة وإذا الأرضُ قد غُطِّيَتْ صفحتها بدماء أبنائها العمالقة.. ولكىْ تبقى الحياة مستمرّه، نفثت الأرض من روحها فى هذا الدم الدافئ، فوُجِدَتْ مخلوقات ذات سمات بشرية عَمّرتْ الأرض، لكن سرعان ما خالف هؤلاء أوامر الآلهة، وثارت فيهم ثائرة ذلك الدم المسفوح الذى خلقتهم الأرض منه، فَغَلُظَتْ قلوبهم، وعدا بعضهم على بعض.

☆☆☆☆☆

■ **خامسا : خلْقُ الكون والإنسان والملائكة وإبليس فى القرآن الكريم :**

تحدّث القرآن الكريم عن خلق الكون والإنسان والملائكة وإبليس.. كما تحدّث عن نوح وقصة الطوفان ومن هلك ومن نجا.. كذلك تحدّث عن تاريخ العبرانيين (بنى إسرائيل) : هود. صالح. إبراهيم. لوط. تبشير إبراهيم باسحق ويعقوب، شعيب، موسى وهارون وفرعون.. وواضح أن القرآن الكريم كان مع موسى ضد فرعون.

ونفس ما ذكره القرآن الكريم مذكور فى العهد القديم وفى « الماجنا والجيمارا »، وهى كتابات يهودية تفسيرية على هوامش العهد القديم.. وهذه آيات من سور فى القرآن الكريم :

من سورة البقرة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥) إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِى أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ

يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٢٩) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.

ومن سـورة المائدة: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّى أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾.

أول سـورة الأنعـام: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً

وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾.

أوائل سورة الأعراف: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

أوائل سورة يونس: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥)** ﴾.

أوائل سورة هود: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ.... وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا

كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾.

أوائل سورة الرعد: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾. [يوم فتح مكة، قال الرسول لكفّار قريش «اذهبوا فأنتم الطلقاء». إلا أنه أمر بقتل النّضر بن الحارث بن كلده.. كان ـ إذا قرأ الرسول القرآن ـ يقول: ما يأتيكم به محمد أساطير الأوّلين، ويقوم هو فيحدّث الناس بأساطير الأولين].

☆☆☆☆☆

(د)

أسطورة أطلس السكندريّة

منذ أزمنة غابرة، وُجِد أول كائن «خاؤس» وهو الهيولى أو اللاتشكّل، ثم مضت فترة أنجب بعدها خاؤس ابنته «نُوكس» أى «الليل الحالك» ثم أنجب «أريبوسَ» الظلامَ الدامس، حيث يسكن الموت، أنجب خاؤس نوكس وأريبوس بطريقة غامضة يعزّ على البشر الفانين فهمها.

ثم بعد عصور مضت ارتمت الأنثى نوكس فى أحضان الذكر أريبوس، وتعددت اللقاءات بينهما، وكانت نتيجة هذه اللقاءات بيضة وضعتها الأنثى.. واستمرّت البيضة عصوراً وعصورا، ثم انفجرتْ وخرج منها مخلوق لطيف ذو جناحين بلون الذهب، ولم يكن ذلك المخلوق اللطيف سوى إيروس[1] إله الحب.. وهكذا وُلِد الحب نتيجة لقاء بين نوكس وأريبوس أى بين الظلام الدامس حيث يَسْكن الموت، وبين الليل الحالك.

هكذا وُجِد الليل والنهار، كما وُجِدتْ الظلمة والنور.. وهكذا يكون الحُبُّ وراء كل وجود.. ثم كانت «جايا» «أى الأرض، و«أورانوس» السماء.. ثم التقت الأرض بالسماء كالتقاء كل أنثى بذكر.. ولما التقيا أنجبا

---

(١) إيروس إله الحُبّ، أو هو إله التناسل والتكاثر، ويروى بعض المؤرخين القريبين من أواخر ما قبل الميلاد وأوائل التاريخ الميلادى، أن السكندريين فى الفترة البطلمية صنعوا تمثالا للعضو الذكرى الإنسانى فى الإسكندرية. ولا يزال لفظ إيروس أصلاً للكلمات المعبرة عن العضو الذكرى فى لغات كثيرة، حتى فى اللغة العربية «إير».

جماعة من «المسوخ» و «الكوكلوبيس» و «التياتن» «جايا» هى الأرض وهى الأمومة الحانية تفتح صدرها لكل أبنائها وبناتها، أما «أورانوس» الأب ففيه قسوة الأبوّة وتعالى السماء، لذا فإنه لا يعدل بين ذريته، ألقى ببعض أبنائه من المسوخ فى أعماق الأرض فلا يَرَوْن الضوء، ولا يذوقون طعم الحريّة، ولكنه ترك أبناءً وبناتٍ آخرين أحرارا، وهؤلاء هم «التّياتن» و «الكوكلوبيس» .. وظلت الأم «جايا» تحرّض ابنها «كرونوس» أى الزمان، حتى يتحدّى أباه «السماء».. صمم كرونوس على الانتقام من أبيه السماء (أورانوس) أخذ يراقب حركات والده، ويحصى عليه غدواته وروحاته.. وذات يوم كان أورانوس يسير متبختراً مزهوا بسلطانه.. خرج كرونوس فجأة من مكمنه وفاجأ أورانوس بطعنة قاتلة أعقبتها طعنات.. فاضت دماء أورانوس مثل جدول منحدر المجرى، سالت دماء أورانوس على وجه جايا، امتصت جايا دماء أورانوس فحملت منه وأنجبَتْ الجيلَ الرابعَ من ذريتها ألا وهم جماعة المردة.

لم يكن «كرونوس» أفضل من «أورانوس»، سمع من عرّاف أن واحداً من أبنائه سوف يقضى عليه.. فأصدر «كرونوس» إلى زوجته.. «ريّا» أن تسلّمه كل مولود تلده فيبتلعه... اختفى كل مواليد «ريا» فى جوف أبيهم «كرونوس» «الزمان».. ثم جاء المولود السادس، وكان كرونوس ينتظره ليبتلعه.. ونظرت ريا إلى المولود السادس فرأته جميلا رقيقا فأشفقت عليه، وصممت على انقاذه، فأتتْ بحجر مستطيل فألبسته أردية كانت قد أعدّتها للمولود، جعلت الحجر يبدو كما لو كان مولودا، بعثت به إلى «كرونوس» الذى ابتلعه، شاعراً بالاطمئنان أن أحداً من أبنائه لن يقوم بعزله، فأبناؤه فى جوفه.

أسرعَتْ «ريا» فسلمت ابنها إلى حوريات الجبل المهجور، حيث تعهدنه بالرعاية، نما الطفل، صار شابّا يافعا.. زار والدته وطلب منها مساعدته حتى ينتقم من والده، رحّبَتْ ريا به.. وقدّمته إلى «كرونوس» أبيه ساقياً.. صبّ لأبيه الشراب يحتوى شيئا من الملح الخاص ونبات الخردل، وحلّى له الشراب بعسل النحل، شرب «كرونوس» دون أن يكتشف أمرَ الشراب ولا حقيقة ساقيه، أحس بدوارٍ شديد.. تقيأ كلَّ ما فى بطنه حتى أبناءه الخمسة، بما فيهم الحجر المغّطى بالأردية.

اندفع أبناء كرونوس إلى الهواء الطلق، لم يكن قد مسّهم ضُرٌّ وهم فى جوف أبيهم، جعلوا أخاهم الأصغر قائداً لهم.. وتجمعتْ التياتن لتدافع عن «كرونوس» ومعهم المردة، ماعدا «بروميثوس» وشقيقه «إبيمثيوس» فكانا مع أخيهم الأصغر «زيوس» وانتهت المعركة بهزيمة كرونوس وأنصاره يقودهم التيتن «أطلس»، وانتصر «زيوس» وأصبح حاكم السماء والأرض وقضى على كل أعدائه ماعدا «أطلس»، الذى بقى اسمه خالداً، وعاقبه كرونوس العقاب الذى يليق به وبجبروته، حكم عليه أن يحمل قبة السماء فوق كتفيه فمُنِحَ اسمُه الخلودَ والبقاء.

«أطلس» أنجبه التيتَن «يابيتوس» من حورية الماء «كلومينى» هو الشقيق الأكبر لكلٍّ من «هيسبيوس» و «إبيمثيوس» و «بروميثيوس» و «مينوميتوس».. كان أطلس يعرف كل أسرار البحر.. حكم «أطلس» ـ قبل أن يسخّره «كرونوس» ـ مملكة ضخمة جدا هى «أطلانتيس»، كانت تقع فيما وراء المنطقة المعروفة باسم أعمدة «هيراكليس» تفصلها عن أوربا سلسلة من الجزر مليئة بأشجار الفاكهة.. حكم أطلس شعبا متحضراً، عَرَف

الزراعة وشقّ القنوات، فضلا عن بناء المساكن والقصور.

أطلس هو ابن بوسيدون، كما قال المصريون، أى أنه ابن سيد البحار والمحيطات، وله خمسة أزواج من التوائم الذكور أقسموا جميعا على الولاء لبعضهم ولأخيهم أطلس.. ظل الإخوة على عهدهم.. إلا أن بريق الذهب كان أقوى من القسم والدم.. تفرّق الإخوة .. صاروا ضِعافا.. هزمهم شعب أثينا هزيمة منكرة.. انهارت أحوال أتلانتيس، واختفت القارّة العملاقة.. ابتلعها البحر.. وصارت قارّة مفقودة.. نجا من طوفان أتلانتيس أطلس وشقيقه «مينويْتُوس».

لكنّ أطلس ارتبط اسمه أيضا بالبطل «هيراكليس» الذى حصل على التفاحات الذهبية التى تملكها «هيرا» ... وبناسبة زواج «هيرا» من رب الأرباب «زيوس» قدمت الأم «جايا» «الأرض» شجرة تفاح إلى هيرا، شجرة تفاح تثمر تفاحات ذهبية فرحتْ بها «هيرا» وزرعتها بعناية خاصة فى حديقتها فى جبال «أطلس»، حيث يلتقى الليل بالنهار، وحيث ترعى مواشى وأغنام أطلس دون أن يشاركها أحد.

أحبت هيرا شجرة التفاح، كان لأطلس ثلاث بنات هنّ «الهسبيريديات» اعتقدت هيرا أن بنات أطلس يسرقْنَ تفاحها الذهبى.. أمرت هيرا التنين العملاق «لادون» أن يحرس شجرة التفاح.. وكان «لادون» تنينا عملاقا ثعبانا مروّعا له مائة رأس... قتل هيراكليس لادون، بعضهم قال: قتله بسهامه التى لا تخيب، وبعضهم قال: أرسله فى سُباتٍ مميت بعقار من عقاقيره.

طلب هيراكليس من أطلس أن يحضر له التفاحات الذهبية، سعد بذلك

أطلس، لأن هيراكليس سيحمل السماء بدلا منه.. ذهب أطلس ـ بعد أن تحرّر من حمله إلى الشجرة، وجاء بالتفاحات الذهبية، وحاول أن يخدع هيراكليس ويتركه يحمل السماء، إلا أن هيراكليس طلب من أطلس وسادة يضعها على كتفه لتخفف الحِمل عنه، وأثناء وضع الوسادة تخلص هيراكيس من حمله، وخدع أطلس وأعاد إليه حمله.. ثم ودّعَ أطلسَ وتهكم عليه تاركا إياه يرزح تحت ذلك العبء الهائل.

ارتبط اسم أطلس ـ أيضا ـ بالبطل «بِرسْيُوس»، كان الجميع يعرفون أن برسيوس سوف يقتل «ميدوسا» ويفصل رأسها عن جسدها، ولقد كان له ذلك، وكان أطلس يعرف ذلك كما يعرف أن الربّة «أثينا» قد حوّلت ميدوسا من فتاة جميلة إلى مسخ مجنّح مخيف ذى أسنان ضخمة ولسان بارز قبيح ومخالب برونزية، وخصلات من الحيات بدلا من الشعر، كما جعلت من ينظر إلى وجه ميدوسا يتحوّل إلى حجر.. كان أطلس يعرف ذلك، لكنه كان يضيق بحمل السماء على كاهله، وكان ينتهز الفرصة للتخلّص منه ... عندما لاحظ أطلس مرور برسيوس ومعه رأس ميدوسا، طلب منه أن يكشف له عن وجهها؛ نظر أطلس إليها وتحوّل إلى حجر.. تحوّل إلى جبال عُرِفت بجبال أطلس وهى تمتدّ فى شمال إفريقيا. إن جبال أطلس منحنية خشنة مجعّدة مثل كتفىْ أطلس، تعلو قِمَمَها الثلوجُ البيضاء، تماما كما تعلو الشعيراتُ البيضاء رأس أطلس، وتنطح قممها الشاهقة السحاب فتبدو كأنها تحمل قبة السماء وتمنعها من السقوط. تماما كما كان يفعل أطلس.

☆☆☆☆☆

● **الشعراء السّكندريّون والأساطير.**

تنسب أسطورة أطلس إلى «موسخوس» وهو شاعر سكندرى مرموق، حتى من شعراء الإغريق، وما وَصَلَنا عنه قليل، بعكس ما يُروى عنه من أساطير، والباقى ـ حتى الآن ـ من أساطيره يؤكدّ قدرته الفائقة على القصّ الخيالى الأسطورى.

ففى ملحمة «يوروبى **Europe**» يروى كيف أحب زيوس (ربّ الأرباب) يوروبى جميلة الجميلات، وكيف صمم على اغتصابها.. حوّل نفسه إلى حصان جميل أو إلى ثوز جميل وظل يقترب[1] منها حتى أحبته، وركبت فوق ظهره فانطلق بها إلى كريت حيث اغتصبها.

وفى ملحمة أخرى يصوّر حوارا بين «ميجارا» زوجة هيراكليس و«ألكمينى» والدته، ويصف من خلال الحوار، آلام كل من «ميجارا» و «ألكمينى» و «هيراكليس» وقلق المرأتين على مستقبل «هيراكليس» وشقيقه «إيفكليس».

ومن الشعراء السكندريين الكبار الذين كتبوا أساطير، «بِيون» و«كاليماخوس» و«لوكوفرون» و «أراتوس».

☆☆☆☆☆

(١) يوجد بجوار مكتبة الإسكندرية العالمية، وعلى البحر فى مواجهتها، ذلك التمثال الذى ينسب لمثال سكندرى بطلمى، حيث ترقد يوروبى تحت الحصان أو الثور وتحتضنه.

• دلالات الأساطير.

يردد علماء الاجتماع الدينى والأنثروبولوجى (علم الإنسان) أن «إله كل أمّة صورة من حاكمها» بمعنى أن البشر يعكسون صورة الحكام على آلهتهم.. حتى أن أحد الفلاسفة السكندريين يقول: «لو كان للثيران أو الأسود أو الخيول أيادٍ يرسمون بها، لرسموا آلهتهم فى صورة تشبه صورهم».

ويرى «ثياچينيس» أن الأسطورة قصة رمزيّة مجازيّة، وليست رواية أدبية، فالمعارك التى دارت بين آلهة الإغريق، وتلك التى دارت بين إبونيمات الساميين وأعدائهم، وبين آلهة المصريين وإلهاتهم، دارت كلها من أجل اكتمال خلْق العالم.. لدى اليونان: هناك آلهة النار، و«هيرا أو إيرا» تمثل الهواء، وبوسيدون (إله البحر) يمثل الماء، وأرتميس تمثل القمر.

كذلك يرى «فريكوديس» السورى أن عناصر الماء والهواء والنار نشأت عن «كرونوس» وهو الزمن، ثم نشأت الآلهة فيما بعد من تلك العناصر الثلاثة.

ويرى «بريديكوس» أن القوى العظيمة ذات النفع للجنس البشرى (كالنيل فى مصر) ظهرت أولا، ثم ظهر بعد ذلك الأشخاص المقدسون، الذين يمثل كل واحدٍ منهم «إبونايم **Eponime**»[1] يقود جماعته أو يخدم الجنس البشرى، ثم حوّل البشر هؤلاء الأبونايمز إلى آلهة.

---

(١) الإبونايم Eponime قائد مجموعة قبلية، ويكون عادة إداريا وعسكريا، فإن كثر الخاضعون له ـ خصوصا إذا كان ساحر البيان ـ تحوّل إلى نبىّ.. وقد يحوّلونه إلى إله.

ويرى « بلوتارخ » ـ كذلك ـ أن الآلهة فى الأصل كانوا بشرا عاديين، أو ملوكا نافعين فحوّلهم من جاءوا بعدهم إلى آلهة، كتحوير لعبادة روح الأسلاف، أو للأبونايم إلى نبى، والنبى إلى إله كما حدث مع المسيح.

وفى العصور الوسطى المسيحية، قام آباء المسيحية بتحويل آلهة الأساطير إلى شياطين، وحّطموا كثيرا من التماثيل الإغريقية والرومانية باعتبارها أوثانا، أورموزاً للآلهة الوثنيين القدامى..

وفى عصر النهضة الأوربية بدأ تفسير الأساطير تفسيرا نفسيّا وأخلاقيا، كما فعل فرانسس بيكون (١٥٦١-١٦٢٦) حيث فسّر « نيركاسس » بالنرجسية أو « عشق الذات » كما جعل « ديونيسوس » رمزاً للمعاناة، وأبا الهول رمزاً للعلم.

كذلك اقترب « دى بروس » (١٧٠٩-١٧٧٧) من الواقع العلمى لتفسير الأساطير، فأشار إلى أن عبادة الحيوانات (أو تأليهها) عند الفراعنة هى بقايا عادات وعبادات قديمة، كتلك التى تمارسها الشعوب البدائية حتى الآن.

كذلك رأى القديس « بانيه **Banier** » (باريس ١٧٣٨) أن الأساطير استمدت جذورها من أساطير تاريخية قديمة ومن الكتب المقدسة للأديان الكبرى.

ويرى « كروزر **Crouzer** » الألمانى أن الأساطير جذور لإبونيمْات أو نبوّات قديمة حاولت أن ترقى بشعوبها وأن تقلّل العنف بينهم.

ثم ظهر « ماكس مولر **Max Muller** » الذى كان يعتبر اللغة شرطاً أساسيا للتفكير، وبهذا رأى اللغة مفتاح الأساطير والقصّ الدينى.. ويرى « تايلور » المهتم بالتفسير الأنثروبولوجى للأساطير، أن وجود عناصر الشراسة

والقسوة فى الأساطير، كما فى بعض أساطير العهد القديم، يقطع بنشأة الأسطورة بين شعب بدائى شرس.

ويرى هربرت سبنسر (١٨٢٠-١٩٠٣)[١] وهو من أتباع المدرسة الأنثروبولوجية أن أساطير الطبيعة هى نوع من عبادة الأسلاف وتحويلهم إلى آلهة.

ويرى «وليام روبرتسون سميث» (١٨٤٦-١٨٩٤) أن الأسطورة مرتبطة بالتعاليم والطقوس الدينية القديمة، ولكنها غير ذات وازعٍ مقدس يُلْزم به العقل الجمعى للجماعة، والأسطورة، بهذه الصورة، ليست جزءا أساسيًا من الديانة، فالعابد ملزم بالشعائر والطقوس، وغير ملزم بتصديق ما جاء فى الأسطورة.

وللأساطير قوّة جذب إذا كانت تعطى للبشر الأمل، حتى أن الذين لا يكادون يؤمنون بالدين، يلتزمون بما جاء فى بعض الأساطير، إذا كان يفتح الباب أمام تحقيق أمنياتهم.. ففى ولاية «بيهار الهندية» وولايات أخرى هندوسية؛ وفى يوم من أيام يوليو ـ كل عام ـ تقوم البنات اللاتى فى سن الزواج بحرث قطعة أرض فى الحقل وهنّ عاريات، ويردّدْن ترانيم لإله الزواج «هِيمان» عسى أن يرزقهن بالزوج المناسب. (حرث الأرض فى الأساطير الهندية رمز للخصوبة والإنجاب والزواج).

كذلك، فإنّ لبعض الشرائع الدينية القديمة، والتى لا تتفق مع روح العصر، جاذبية خاصة، باعتبارها شيئا متصلا «بالماضى الأصيل» ذلك الماضى

---

(١) هربرت سبنسر أحد أعمدة المدرسة الأنثروبولوجية. نشر كتابه الهام Principles of sociology فى لندن ١٨٩٨ ـ واعتمدت ـ إلى حد كبير ـ فى هذه الدراسة التعقيبية على الأساطير، على كتابات الدكتور عبد المعطى الشعراوى فى «أساطير إغريقية».

الذى كان يسمح بالخشونة والقسوة فى التعامل بين النساء والرجال، ففى بعض جبال منغوليا، لا تزال توجد بقية محدودة لجماعة إنسانية ذات شريعة خاصة تسمح بتعدد الأزواج للزوجة الواحدة... والعجيب أن بعض النساء عندهم لايزلن يعددن فى الأزواج (كأنه نوع من التوحش القديم الذى كانت تمارسه الملكات أو النساء فى المجتمعات الأمومية)... ولونظرنا فى تعدد الأزواج فى الإسلام، نجد أنه من الممكن إيجاد ذريعة شرعية لمنعه، وقد فعلوا ذلك فى تونس، اعتماداً على آيتىّ سورة النساء (رقم ٣ ورقم ١٢٩): فالآية الثالثة ورد فيها: ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ..** ﴾ والآية ١٢٩ ورد فيها: ﴿ **وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ..** ﴾ ولكنْ هناك من رجال الدين من يميلون إلى قداسة المتبع قديما، ولا يرغبون فى أى تجديد، كذلك قد ترتبط مصالح ذاتية بالوضع القديم الذى مضى عليه أكثر من ١٤٠٠ عام، ناهيك عن التوحش القديم الذى كان يرى لذّة فى التعَدّد.

☆☆☆☆☆